الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

مفاهيم ومصطلحات

في هذه الدراسة نتناول مصطلحات فكرية تستدعي التوضيح والإفصاح عنها في سياق له مدلول محدد؛ لكي تتضح الرؤية وتتسق المعاني من أجل المزيد من الوضوح، فالدراسة تتناول الكثير من المفاهيم منها: الإسلام، الغرب، حقوق الإنسان، الحوار، التعايش، العولمة، الخطاب الديني، التسامح، صراع الحضارات.

الإسلام:

الإسلام دين الله الذي أرسل به جميع رسله وأنبيائه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. ولذا لا يقبل الله من أحد من عباده دينا غيره، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد أمر الله إبراهيم عليه السلام بالإسلام فلبى مسرعا ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: ١٣١]، والأنبياء الذين كانوا يحكمون بالتوراة كانوا مسلمين: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المائدة: ٤٤]. وسمي دين الله إسلاما، لأنه استسلام وانقياد وخضوع، والإسلام دين الكون كله. فالكون كله خاضع ومستسلم لله، وفي ذلك يقول رب العزة: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

والدين الإسلامي المُنزل على محمد ﷺ دين شامل كامل في عقيدته وشريعته، وهو يقوم على الحق والعدل، وتنبثق منه قواعد عظيمة، وأسس قوية سليمة، وأنظمة تشمل الحياة الإنسانية بأسرها، وكل ذلك يشكل وحدة واحدة مترابطة فيما بينها، لا يمكن أن تسمى بغير الإسلام.

ومن الأدلة على أن الإسلام بمفهومه العام دين كل الرسل والأنبياء:

- في شأن نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس].
- في شأن إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ

وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ...﴾ [البقرة :١٢٨]. وقد أمر الله إبراهيم بالإسلام فأسلم ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة]

- وفي شأن موسى عليه السلام ومن آمن به من سحرة فرعون وقد هددهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ثم صلبهم إن لم يكفروا بموسى ويرجعوا عن الإيمان والإسلام الذي جاء به، يقول تعالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

- وفي شأن سليمان عليه السلام قال تعالى مخبرا عنه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل : ٤٢].

- وفي شأن محمد ﷺ آخر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام]. والمراد: أول مسلمي أمته ﷺ .

- ومن الآيات القرآنية التي تدل على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب] .

الغرب:

تكشف التجربة التاريخية للغرب أن أمام مرآته مجموعة من القوى والأبعاد الثابتة نسبيا، يضفيها الغرب على نفسه، يظهر بها تحت أشكال متجددة دوما، لا ينظر إلى نفسه إلا من خلالها، فهو أمام نفسه كيان أوروبي، مسيحي، فلسفة تنوير وعرق أبيض ونظام اقتصادي.

أما الغرب من حيث هو كيان جغرافي فهو لا يدل على موقع معين أو مكان بعينه. هكذا صار الغرب فكرة يميل مدلوله إلى أيديولوجية.

لا جدال في أن فلسفة القرن التاسع عشر أتاحت للغرب أن يؤمن بتفوق العرق الأبيض، وعليه يقع عبء مهمة تمدين العالم. ويصبح العالم إمبراطورية هو إمبراطورها،

وليس هناك شك في أن عصر الاستعمار سول له هذا التخيل، وكان الشكل العرقي الذي يرضيه هو السيطرة من أجل تغريب العالم.

وتغريب العالم يعني سيطرة الرجل الأبيض على العالم وتحقيق سيادته، إذ الناس في نظره لا يمكن أن يكونوا كلهم سادة ومتساوين. والواقع أن تعريف الغرب بالعرق المتفوق يضمن استبعاد الشعوب في سياق المشروع الاستعماري الذي يمثل إخضاع الكرة الأرضية لعرق متفوق [١].

حقوق الإنسان:

الحق ضد الباطل والحق واحد الحقوق، والحاقة يوم القيامة ومنه الفعل « حاقه » أي: خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق، والحقيقة ضد المجاز [٢].

والحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق، ولا يكون الشيء في لغة العرب حقا حتى يكون صحيحا ثابتا صادقا ومتيقنا [٣]. وقد سمى الله نفسه بالحق، ودين الله حق، وخلق الله الخلق بالحق، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام] ،﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الفتح : ٢٨] ،﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [يونس :٥]، ويطلق الحق على النصيب الواجب للفرد أو الجماعة [٤].

والمراد بحقوق الإنسان في المصطلح المعاصر: « مجموعة الحقوق الطبيعية التي يملكها الإنسان، واللصيقة بطبيعته، والمقررة عالميا، وإن لم يتم الاعتراف بها، أو انتهكت من قبل سلطة ما. وهي تشمل الحقوق الأساسية كحق الحياة والمساواة والحرية بأنواعها المختلفة، والحقوق السياسية والمدنية، كحق الشعوب في تقرير مصيرها، وحنها في الحرية، وحق الانتماء والجنسية، وحرية الرأي والتعبير والعقيدة، وحقوق التعليم والتربية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية كحق الملكية الخاصة، وحق العمل، وحق تولي الوظائف العامة، وحق الرعاية الصحية والاجتماعية، وكفالة الدولة، وحماية الأمومة والطفولة، ورعاية النشء والشباب، وحقوق الأسرة والمسكن ونحوها » [٥].

---

(١) محمد إبراهيم الفيومي: وجوه الغرب المتعددة والعالم الإسلامي، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية (الإسلام والغرب، الماضي – الحاضر – المستقبل)، القاهرة، ١٩٩٨، ص٩٥ ، ٩٦.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، بيروت، دار القلم، د.ت، ص ١٤، ١٤٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١/ ٦٨٢.

(٤) عمر سليمان الأشقر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط١٢، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥، ص١٧٩.

(٥) المرجع السابق: ص١٧٩.

فالحقوق العامة التي تدعى بحقوق الإنسان، يمكن الدارس للشريعة الإسلامية أن يستخلص منها هذه الحقوق، وهي حقوق صادرة من عند الله، لا تقبل تبديلا ولا تحويلا، فالإسلام أتى ليضع للناس شريعة حياة، وقانون عمل، وأصول علاقة كان الأصل فيها احترام كل حقوق الإنسان، مما يمكن تحديده أو تحديد معظمه في عدة نقاط:

١ – حق المساواة بين البشر: وهذا أمر إلهي طالما تعلق الأمر بالحياة العادية والطبيعية، فالإسلام أوضح هذه الحقيقة من البداية في قوله تعالى:﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَنكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات] ، فالناس جميعا عند الله سواء، لا فرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم، فكلهم من أب واحد وأم واحدة، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا تفاخر بالأحساب ، والأنساب، وكثرة الأموال، إنها أخلاق إنسانية يجب أن تكون سلوكا للمؤمن يعيش بها في الحياة كلها ومع الناس جميعا، فلا تكون ثوبا يلبسه مع المسلمين حتى إذا كان مع غير المسلمين نزعه، فإنه بهذا ينزع كمالا خلقه الله، ويتعرى من جلال كساه الله إياه.

فالقرآن يخاطب جميع الناس: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، ويقرر حقيقة كبرى، فهم - مؤمنون أو غير مؤمنين - إخوة في الإنسانية ؛ إذ هم من طينة واحدة: « كلكم لآدم وآدم من تراب ».

٢ – حق الحياة: فلا يجوز الاعتداء على حياة الإنسان إلا بحق الإسلام، ومن ذلك قتل القاتل، ورجم الزاني المحصن، وقتل المرتد. فالناس جميعا قد وهبهم الله الخالق الحياة وهم إخوة في الإنسانية، والحياة دعوة ومنحة من الله تبارك وتعالى للإنسان، لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادة الله. قال تعالى:﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ [ق]. والعدوان على حياة فرد بدون حق عدوان على المجتمع كله، والقصاص من الجاني المعتدي إحياء للمجتمع كله، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة :٣٢] . وقد أعطت الشريعة الإسلامية حق انتزاع الحياة من الأفراد للدولة وفقا لمصلحة المجتمع وحماية لحياة الأفراد، قال تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَتَأُوْلِى ٱلْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة] .

٣ – حق الشورى والمراجعة والمشاركة في الحقوق السياسية: فالله سبحانه وتعالى جعل

الأمر شورى بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وكان المصطفى ﷺ يشاور أصحابه في الأمر، وسار على نهجه الراشدون المهديون.

٤ – حق الإنذار والتوجيه والتبشير: فكانت الرسالات المقدسة والأنبياء والرسل والكتب السماوية مادة هادية للحق وكاشفة عن الباطل، فالقرآن الكريم لم يذكر اسم (الأديان) بصيغة الجمع على الإطلاق، وإنما الدين واحد وقد تعددت رسالاته ورسله ، والذي تلقاه خاتم الرسل هو في جوهره ما تلقاه الرسل من قبله.

٥ – حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فيما يراه الإسلام معروفا، ويراه منكرا، وحتى هذا الحق ثابت شرعا مع الأمراء والمماليك والرؤساء. وأوضح القرآن الكريم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مقومات شخصية المؤمن لا يتحقق وجودها بدونه، حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة].

٦ – حق الأمن للإنسان على ماله وعرضه ونفسه: فالأمن في الشرع حق واجب، فيوهب الإنسان هذا الحق ، ولا يسلب منه إلا في حال إخلاله الفرد به، فأي فرد طلب الأمان لا يجوز الاعتداء عليه بأي وجه من الوجوه ، ويؤيد هذا ويوضحه قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التوبة] .فالإسلام يدعو أساسا إلى كل صور السلام.

٧ – حق العلم والتعلم: فالإسلام دعا إلى العلم منذ بدء نزول القرآن على النبي ﷺ ، وحث على طلبه، وجعل للعلماء والحكماء مكانة خاصة، ومنزلة عالية، ويعترف بفضلهم دون النظر إلى ملتهم التي يتبعونها، أو جنسيتهم التي ينتمون إليها، وقد حرص الإسلام على رعاية العلماء والحكماء من أهل الملل غير المسلمة، ولنرجع في ذلك إلى كتب المؤرخين والفلاسفة من غير المسلمين، لنذكر جماعة من المسيحيين وغيرهم، ممن بلغوا الحظوة عند خلفاء المسلمين وعامتهم [١] :

– جيورجيس بن بختيشوع: طبيب المنصور، كان فيلسوفا كبيرا ، علت منزلته عند

(١) السيد أحمد عبد الغفار: الخدمات الطلابية في العصر العباسي (١٣٢هـ – ٦٥٦هـ) ص١٥١، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنوفية، ٢٠٠٠م.

الخليفة المنصور، فأعلى مكانته حتى على وزرائه.

- نوبخت المنجم وولده أبو سهل: وهما من أصل فارسي، حظيا بمكانة عالية عند المنصور، وكانوا جميعا من المنجمين.

- بختيشوع الطبيب وجبريل ولده.

- ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني : ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة، طبية، وغيرها.

- حنين بن إسحاق النصراني: اشتهر أيام المتوكل وكان من أشهر المترجمين لكتب أرسطو وغيره. وكان قد عرف بفصاحة اللسان وحسن الترجمة في زمن المأمون.

٨- حق الاختلاف والتعددية الفكرية بين الناس: وهو من سنة الله حيث، قال سبحانه وتعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة :٤٨] . وقال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ ﴾ [الكافرون] ، وهذا الاختلاف في المعتقدات لا يمانع التسامح والتعايش بين الأديان طالما أن الأديان نفسها نادت بهما، وفي مجال المعرفة التقى الفكر الإسلامي بالفلسفة الغربية في كثير من مراحل تاريخه الطويل، حيث درس علماء المسلمين ومفكروهم الفلسفة اليونانية وطوروها لينتفع بها المسلمون وغيرهم، أمثال الإمام الغزالي والفارابي وابن سينا وغيرهم.

٩ – حق التآلف والتسامح والتآخي: يعيش اليوم في أوربا ملايين من المسلمين المهاجرين، يشكلون واقعا إسلاميا يسمى بـ" المسلمون الأوربيون " ، ورغم تمتعهم بكثير من الحقوق فإن أكثر البلاد الأوربية لم تعترف حتى الآن بكيانهم الديني رسميا، رغم أن الدين الإسلامي فيها يأتي بعد الدين المسيحي في العدد، وعلى سبيل المثال: قضية الحجاب في فرنسا مؤخرا، وبينما يعيش بين المسلمين في معظم البلاد الإسلامية فئات كثيرة من معتنقي الديانات الأخرى، ويمارسون شعائرهم الدينية بكل أمن واطمئنان، ففي تركيا يعيش مواطنون يعتنقون الدين المسيحي واليهودي، ويتمتعون جميعا بكامل الحقوق التي يتمتع بها أي مواطن تركي دون أي تفريق أو تمييز، كما أن حقوق الطوائف الدينية ومزاولة شعائرهم الدينية مكفولة في تركيا بمعاهدة (لوزان) التي تم عقدها في عام ١٩٣٢م، ويوجد في تركيا حوالي ٢٧٤ معبدا لأهل الأديان الأخرى غير الإسلام. ومن ثم على العالم الغربي أن يكف عن نشاطاته الاستعمارية ضد العالم الإسلامي، وأن يتجنب الوقوع

في خطأ اعتبار الإسلام العدو البديل للشيوعية بعد انهيارها أخيرا ، حتى يعم التفاهم المتبادل والتآخي والتآلف والتسامح بين البشر، ويتعايش أهل الأديان جنبا إلى جنب بكل أمن واطمئنان [١].

١٠ – **حق اختيار العقيدة**: من خلال تكريم العقل والدعوة إلى إعماله وتحريم إبطاله وتعطيله فكان مطلب التفكر والتدبر والعلم والتفقه ومثل ذلك كان تكريم أولي الألباب وأولي النهى، فكان إعمال العقل حقا ممنوحا للإنسان دون مصادرة أو تحقير أو ازدراء أو إيقاف أو تهميش [٢].

١١ – **حق متعدد لأجناس البشر بعيدا عن الإجحاف**: وما دام الدين الإسلامي هو خاتم الديانات السماوية إلى أن تقوم الساعة، فمعنى ذلك أن الله – جل شأنه – وهو العليم الخبير قد ضمنه كل ما تحتاجه البشرية في حياتها، وإن تعاليمه وتشريعاته صالحة لكل زمان ومكان، وإن بدا للبعض قصور حول بعض التشريعات والأحكام، فإن العيب ليس في هذه التشريعات والأحكام، وإنما العيب في عدم فهمنا لها الفهم الصحيح السليم، فتصور البعض أن الإسلام لم يعط المرأة حقوقها كاملة، وأن الإسلام فضل الرجل على المرأة، هذا موضوع قديم، غير أن خصوم الدين الإسلامي يحاولرن تجديد إثارته بين الحين والحين، وأن يظهروه كل مرة في ثوب جديد بغية الوصول إلى ما يتمنون. قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة] . فالمرأة لم تلق من الذل والهوان قدر ما لقيته خارج النطاق الإسلامي، فكانت المرأة أحقر شأنا من الرقيق حتى بلغ الأمر بالآباء إلى حد التخلص من بناتهم في قوة ووحشية سائدة إلى أن جاء القرآن الكريم فندد بها وأغلظ على مرتكبيها، وتوعدهم بالويل والثبور والعذاب المقيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾

[التكوير]

فالإسلام أنقذ المرأة من كل المظالم، وعاملها معاملة كلها إنصاف، واحترام ومكانة، وإجلال. ولم تعط المرأة حقها – وهي بنت أو زوجة أو أم – إلا في الإسلام، فأعطيت الحق في الحياة، والحق في الميراث، والحق في التملك، والحق في التعلم، منذ أربعة عشر قرنا وثمانية وعشرين عاما من الهجرة.

---

(١) محمد نوري يلماظ: الإسلام والتعايش مع الأديان، ص١٥٢ – ١٥٣، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية "الإسلام والقرن الحادي والعشرون"، القاهرة، ١٩٩٩.

(٢) محمد وجيه الصاوي: الموقف من العولمة، حوار تفاهم – وتبادل حضاري ص ٤ ، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦.

ونظرة الإسلام للمرأة كانت مغايرة تماما لنظرة الفلسفات الوضعية لها، فلم تكن تتمتع بنظرة محترمة وكانت مكانتها الاجتماعية على قدر كبير من الدونية، فكانت عند الهنود دورة للروح في حياة شريرة، وعند اليونان ظلا للرجل ومجرد تابع له ولا تملك من أمرها شيئا، ونفس الشيء عند الرومان، وفي المسيحية فخ نصبه الشيطان للرجل، وإنها سلاح إبليس للفتنة والإغراء، رغم أن تقديس العذراء مريم قد رفع من منزلة المرأة ولكن هذا لم يغير من وضعها الاجتماعي كثيرا، وهي أوربا هدر القانون كل حقوق المرأة، وهي في الجاهلية كانت المرأة في وضع لا تحسد عليه، فكانت للخدمة والمتعة للرجل.

فهذا التكريم للمرأة لم تعرفه اليهودية ولا المسيحية، فالإسلام لم يحرم على المرأة دخول أماكن العبادة مثلما تحرم المرأة اليهودية من دخول السيناجوج (المعبد اليهودي)، كذلك لم يحرم الإسلام على المرأة لمس المصحف الشريف وتلاوة القرآن ، إلا إذا كانت المرأة في فترة الحيض أو النفاس ، مثلما حرمت اليهودية على المرأة لمس التوراة وتلاوتها في جميع الأوقات حيث تعتبر المرأة في اليهودية مدنسة ولا يحق لها أن تدخل المعبد أو تلمس التوراة حتى لا تدنسها [1].

١٢ – حق الإنسان أمام القضاء: تتمثل إجمالا في حقه في العدالة وفي محاكمة عادلة ، وهو ما يمكن أن يعبر عنه النصان الرابع والخامس من البيان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان وفحواهما الآتي:

أ – حق العدالة: من حق كل فرد أن يدفع عن نفسه ما يلحقه من ظلم، قال تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] .

ب – حق الفرد في محاكمة عادلة:

* البراءة هي الأصل حيث قال ﷺ: « كل أمتي معافى إلا المجاهرين » [2]. وهذا الأصل مستمر حتى مع اتهام الشخص ما لم تثبت إدانته أمام محكمة عادلة إدانة نهائية [3].

* لا تحريم إلا بنص شرعي، قال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء]

---

(١) فوزية العشماوي: الشخصية القانونية للمرأة المسلمة وآثارها على المجتمع،ص ٤، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) عبد النبي حسن عبد الوهاب: حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، القسم الأول ص٥٠، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد (٥٧)، القاهرة، ٢٠٠٠.

* لا يجوز بحال تجاوز العقوبة التي قدرتها الشريعة الإسلامية للجريمة، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [البقرة :٢٢٩].

* لا يؤخذ إنسان بجريرة غيره، قال تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] .تلك كانت حقوق الإنسان أمام القضاء في الإسلام.

هذه نقاط تظل بعضا من كل عظيم جاءت منظومته متكاملة البنيان متجانسة الأركان؛ لتظل ترسم صورة حضارية راقية للمسلك الإنساني الرفيع، في كل زمان ومكان، هي قيم مطلقة، يبقى للبشر تحويلها إلى حقوق نسبية، بمقدار تشبثهم بها ومحافظتهم عليها، أو جورهم على بعضها، أو إغفال أو تهميش جوانب منها، فكان مولد المصطفى ﷺ هو مولد حقوق الإنسان بلا نقص ولا مواراة ولا عوج ولا أمت، إلا ما جاء به الإنسان حين جار على مسيرتها باعتباره ظلوما جهولا قد يعصف بالآخر؛ لأن الظلم من شيم النفوس أحيانا، وهو ما حذر منه الإسلام في دعوته إلى جهاد النفس وتصنيفها بين الأمارة بالسوء، والمطمئنة واللوامة، فكانت حقوق الإنسان منظومة متكاملة المولد منذ النشأة، مما يدعونا إلى الاحتفاء بها إحياء وتجديدا مع مولد صاحبها عليه الصلاة والسلام ليظل مولده الشريف مدخلا إلى المولد الصريح لكل حقوق الإنسان [1].

الحوار:

يعتبر الحوار الحضاري عند المسلمين ثمرة التصور الإسلامي للإنسان الذي يقوم على أساسين [2] :

أولهما: تحديد غاية الوجود الإنساني – وهي عبادة الله والخضوع له – تلك الغاية التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها.

وثانيهما: هو مدى الوعي بالوجود الإنساني إلى ما وراء الحياة الدنيا القصيرة الفانية إلى الحياة الخالدة الباقية. وإذا استوعب المحاورون الآخرون هاتين القاعدتين أمكن أن يتوصل المسلمون معهم إلى العدل والقسط في التعامل.

ومن ضروب القسط أن يسود الحوار الحضاري بين الأمم والشعوب والعدل في

---

(١) محمد وجيه الصاوي: الموقف الإسلامي من العولمة...، مرجع سابق، ص٨.
(٢) عبد الله بن عبد المحسن التركي: سلسلة فكر المواجهة (٢)، الإسلام .. وحوار الحضارات،ص ١٠،ط١، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠.

المعاملة والمساواة في العلاقة، وبهذا المعنى فهم المسلمون القسط في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

إنه لابد من التأكيد للعالم أنه لا توجد في الإسلام مشكلة في التعامل مع الآخر، فهو دين رباني أنزله خالق السموات والأرض وخالق الناس، لا يفرق بين خلقه ولا يميز أحدا على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]، والإسلام وجد أصلا في بيئة إنسانية امتزج فيها العرب المستعربة من أولاد إبراهيم – عليه السلام – بالعرب العاربة سكان الجزيرة الأوائل: ليكونوا أمة واحدة، هيأها الله عز وجل لحمل الرسالة الخالدة، ولقد ازداد هذا الطابع العالمي وضوحا في مجتمع الصحابة الأول، حين التقى فيه العربي مع الرومي والفارسي مع الحبشي ليضعوا نواة الأمة الكبيرة التي ضمت شعوبا وألوانا لا تحصى، وتعايشت فيها حضارات عريقة عملت لنصرة الدين الواحد، دون أن تكون مضطرة للتخلي عن الصالح من حضارتها ولغاتها وتقاليدها، وحتى في الجاهلية العربية حيث سيطرت النزعة القبلية وما يأتي معها – عادة – من التعصب والانحياز الأعمى للقريب، كانت القبائل تتفق على حماية الغريب ونصرة المظلوم.

إن قواعد الحوار الحضاري القائمة على مفهوم عالمية الإسلام توجب على المسلمين القيام بمهمة التعريف بالإسلام على أنه الدين الإلهي الخاتم الذي جاء مصدقا لجميع الأنبياء والرسل، كما أنهم مطالبون بتفنيد ما يتعرض له الإسلام في الغرب من التحريف والادعاءات على أنه العنف والجهل والفقر والمرض، بينما هو في الحقيقة الدين الذي يحث على التسامح ويأمر بالعلم والتعلم، ويحذر من الفقر والفاقة وجميع الأمراض، وذلك خلافا لما يروج في الغرب من تصورات خاطئة عن الإسلام.

ومن أجل تصحيح مثل هذه التصورات والانطباعات أو التفسيرات الخاطئة عن الإسلام، وجب علينا الحوار بالتي هي أحسن مع الالتزام بالحقيقة في التعامل مع الوقائع، لأن الحق واحد [١]، ويقول تعالى في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) عبد الله بن عبد المحسن التركي: سلسلة فكر المواجهة (٢)، مرجع سابق، ص ١١.

فالبغي من صفات الإنسان وليس من صفات رسالات الله، والتاريخ مليء بالجوانب المضيئة في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وهو يشهد بسماحة الإسلام وعدالته مع غير المسلمين.

إن ترحيب المسلمين بالحوار بين الحضارات يفتح لهم باب التأكيد على تعميم القيم المشتركة بين أبناء البشرية، مع تحديد نقاط واضحة للحوار تنبذ سياسة الاستعلاء الحضاري أو العنصري، وتعرف بمبادئ الإسلام، وتعرض أحكامه في القضايا المثارة، ومن هنا يصبح النقاش والحوار بين الحضارات وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية، ونشر قيم الإسلام لمواجهة الظلم، وعلى أساس هذه المهمة العظيمة نرى أن التواصل مع الأمم، والحوار بين الحضارات مسئولية إسلامية، فقد أمرنا الله بالحوار بالتي هي أحسن: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].

المعطيات الراهنة للحوار مع الغرب:

لقد مضى أزيد من ربع قرن على بدء الحوار بين المسلمين والغرب في صيغته الجديدة المبتكرة على المستويين الديني والسياسي، فالحديث يدور حول حوار الحضارات، وحوار التيارات الثقافية المختلفة، وحوار الشمال والجنوب، (والحوار العربي – الأوربي)، (والحوار الإسلامي – المسيحي)، فماذا أفاد العرب والمسلمون من هذا الحوار ؟ وماذا أفاد الغرب نفسه، الذي كان البادئ بالدعوة إلى إجراء الحوار معه، من هذا الحوار أيضا ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال الذي نراه من الأسئلة المحورية البالغة الأهمية، يستحسن أن نمهد لذلك بسؤال جوهري، نعتقد أن طرحه هنا ضرورة تقتضيها المعالجة الدقيقة لهذا الموضوع.

والسؤال هو: لماذا صدرت الدعوة إلى الحوار من الغرب، ولم تصدر من المسلمين الذين من مبادئ دينهم وأخلاقهم السماحة والتسامح ؟

وما الدوافع التي تقف وراء المبادرة التي اتخذتها بعض المؤسسات الغربية بدعوة شرائح من المجتمعات الإسلامية إلى الدخول في حوار معها ؟

وما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور فكرة (الحوار الإسلامي – المسيحي) أولا، ثم فكرة (الحوار العربي – الأوربي) فيما بعد ؟

إننا نعلم الأجواء السياسية التي سادت العالم بصفة عامة، ومنطقة الشرق الأوسط بصفة خاصة، في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧م، كانت السبب الرئيسي وراء ظهور فكرة (الحوار العربي – الأوربي)، وقطع الحوار بين المسلمين والغرب على هذا المستوى السياسي، أشواطا، ثم ما لبث أن توقف، إلى أن تجدد حرب رمضان ١٩٧٣م لفترة قصيرة، ليتوقف بعد ذلك نهائيا، وكان وراء تجديد العمل بسياسة (الحوار العربي – الأوربي) في أعقاب حرب رمضان، ارتفاع أسعار البترول من جهة، ومن جهة أخرى ظهور العرب كقوة مؤثرة في الاقتصاد الدولي نتيجة الموقف الذي اتخذته الدول العربية المنتجة للبترول أثناء الحرب.

أما الأسباب التي حدت بالغرب، وبالأخص الكنيسة الغربية، إلى إعلان فكرة الحوار مع المسلمين، فهي ليست واضحة الوضوح الكامل الذي لا يثير تساؤلا إطلاقا.

إن أول ما يلاحظ في هذا الصدد، أن فكرة الحوار مع الغرب انطلقت من الكنيسة، مما جعل الحوار يصطبغ بالصبغة الدينية فكان ما يعرف اليوم، ومنذ نحو ثلث قرن بـ(الحوار الإسلامي – المسيحي)، ونتيجة لذلك أصبح كلما ذكر الحوار مع الغرب، تبادر مع الذهن (الحوار الإسلامي – المسيحي)، حتى صار عنوانا على حوار المسلمين مع الغرب [1].

إن (للحوار الإسلامي – المسيحي) خلفية تاريخية يجدر بنا أن نعرض لها هنا باختصار، فلأول مرة في تاريخ الكنيسة الغربية، ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٢م – ١٩٦٥م على مستوى مذهبي عقائدي مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية، حيث صدر عن الكنيسة تصريح حول (علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية)، وقد أولى هذا المجمع اهتماما خاصا بالإسلام، فلأول مرة منذ أربعة عشر قرنا من وجود المسيحية والإسلام يتحدث مجمع مسكوني كاثوليكي؟ بصورة إيجابية عن الإسلام، معترفا بوضعه الديني المتميز [2].

وإذا كانت فكرة (الحوار الإسلامي – المسيحي) نشأت في هذا الجو المشبع بروح الانفتاح والرغبة في التقارب مع أصحاب الديانات السماوية أو بتعبير الفاتيكان نفسه (الديانات غير المسيحية)، فلأي هدف، بالتحديد ظهرت الفكرة أصلا ؟

إننا نحسن الظن على كل حال، ونقبل بالواقع، ونميل إلى التعامل معه، ونرضى بأن نكون كمسلمين طرفا في هذا النوع من الحوار، على الرغم من أننا نرى أنه لم يؤت أكله على

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري: آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، ص٦٩٨، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق.

(٢) أليكس جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص١٣٧، ترجمة: خلف محمد الجراد، مراجعة وتقديم: محمود حمدي زقزوق، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢١٥)، نوفمبر ١٩٩٦.

النحو الذي كنا ولا نزال نتطلع إليه؛ إذ لا تـزال المواقـف المعلنـة التـي تتخـذها الكنيسـة الغربية من بعض القضايا ذات الصلة بالعرب والمسلمين تفتقر إلى روح الإنصاف والعدل والرؤية الموضوعية المستندة إلى المبادئ الإنسانية والحق والقانون الدولي، ومن ذلك موقفها من قضية القدس الشريف، وموقفها من الحرب الضروس التي فرضت على البوسنة والهرسك، وهو الموقف الذي لم يكن حاسما، وكان بالإمكان أن يتسم بالحسم وبروح الإنصاف (١).

ولقد عقدت حتى الآن أكثر من ثلاثين جولة من (الحوار الإسلامي- المسيحي) في عواصم متعددة اتخذت شكل مؤتمرات، وندوات، وحلقات دراسية، ولقاءات مشتركة، وعولجت فيها قضايا هامة كان الجانب المسيحي هو الذي يختارها، ولكن النتائج التي انتهت إليها هذه الجولات من الحوار ليست بالثقل والأهمية والقيمة التي كنا ولا نزال ننتظرها من حوار المسلمين مع الغرب المسيحي.

إن الرؤية الواقعية إلى (الحوار الإسلامي – المسيحي) تجعلنا لا نتطلع إلى تطابق تام في وجهات نظر الطرفين تجاه القضايا التي يتناولها الحوار، وهذا أمر طبيعي للغاية؛ لأن لكل طرف عقيدته وفلسفته ورؤيته إلى الأشياء، ولكننا نأمل في أن يتطور الحوار مع الغرب أسلوبا ومنهجا وفلسفة، لا لينسجم مع ما نريده نحن معه، وإنما لينسجم بالدرجة الأولى مع الروح الجديدة التي تسود العالم اليوم. ومع مبادئ الشرعية الدولية القائمة على قرارات الأمم المتحدة، وحتى يكون هذا الحوار وسيلة فعالة من وسائل بناء الأسس الجديدة للعلاقات الدولية (٢).

وإذا كان هذا الأثر الضعيف (للحوار الإسلامي – المسيحي) دون مستوى الآمال التي كنا نعلقها عليه، فإن الحوار (العربي – الأوربي) في إطاره السياسي والاقتصادي الواسع، لم يحقق حتى الآن أي هدف من الأهداف التي حددت له (٣).

وهناك حوار آخر دار في مؤتمر " الإسلام في أوربا " الذي عقد باستوكهولم في منتصف شهر يونيو عام ١٩٩٥م، وتناول تحديد العلاقة بين الثقافة الأوربية والإسلامية، ووضع المسلمين في أوربا (٤).

والذي يهمنا هنا ـ من عرض هذه الحوارات :هو أن نؤكد على ضرورة الإفادة من

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري: آفاق مستقبل الحوار بين الإسلام والغرب، مرجع سابق، ص٧٠٠.
(٣،٢) المرجع نفسه: ص٧٠١.
(٤) محمد وجيه الصاوي: مرجع سابق، ص٢١.

نتائج أعمال هذه الحوارات، والبحث في تحديد آلية التنفيذ، ودراسة إمكانية التنسيق بين المؤسسات العاملة في هذه المجالات وإيجاد هيئة للتنسيق والمتابعة، لكن مهما يكن من أمر، فإن حوار المسلمين مع الغرب، سواء أكان على مستوى الحوار الديني، أم على مستوى الحوار السياسي والاقتصادي، في حاجة شديدة إلى مراجعة نقدية تقوم على الأسس والمبادئ والأهداف والوسائل في آن واحد ، فلا بد وأن يتم تقييم شامل للنتائج والمعطيات، والمسلمين – العالم الإسلامي – اليوم أشد ما يكون إلى الحوار داخل كيانه وبيئته وبين أعدائه وجيرانه، فقد تعددت سبل الاتصال وتيسرت، كما تعددت مسائل الخلاف وتعقدت، فلم يعد بإمكان أي مجتمع أو دولة ما العيش بمعزل عن الآخر أو الاستقلال بالنفس عن الآخر أو الانغلاق لا الانفتاح، وهناك العديد من الأهداف والخصائص والوسائل للحوار المثمر سوف نعرضه بشيء من التفصيل فيما بعد.

الخطاب الديني:

ينبغي التعامل مع الغرب من منظور شمولي لا يقتصر على الموجود خارج الدائرة الإسلامية، بل بالدخول إلى مدارات الحوار الحضاري، الذي يقوم على النقد البناء من أجل الوصول إلى الغاية المتوخاة وبذلك يتعدى الخطاب الإسلامي اليوم من تصحيح الصورة، إلى نشر الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، على المستوى العالمي بتقديم الإسلام كما هو، كما نزل، وكما ينبغي أن يمارس، ويجسد على أرض الواقع، لا كما هو ممارس في كثير من المجتمعات والدول ، وهو ما يمكننا من محو الصورة المغلوطة التي رسمها العلمانيون والحاقدون سواء في الغرب أو لأبناء أمتنا أنفسهم، إن ذلك سيساهم لا محالة في تقليص درجات الالتباس المتراكمة في علاقات الإسلام بالغرب، وذلك عن طريق فحص ومراجعة ونقد الأحكام المسبقة السائدة بين الثقافتين، كما يروم هذا الخطاب الصريح تفكيك إرث التجافي المشترك الذي بلورته ظروف تاريخية ينبغي تجاوزها والتغلب على مخلفاتها خدمة لطموح الإنسانية في التعاون المشترك المطلوب، القائم على احترام التنوع والاختلاف بين الحضارات، خاصة في هذا الوقت الذي أصبح العالم في حاجة ماسة إلى بديل يحقق له الطمأنينة والاستقرار، يؤكد ذلك ظاهرة انتشار الإسلام في الغرب وازدياد الإقبال عليه بشكل ملحوظ، مما ساعد على بداية تفهم روح الإسلام، والتعرف على سمو مقاصده وأهدافه، كما ظهر على ألسنة كثير من الزعماء والسياسيين والمفكرين، وفي صدارتهم الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة، و (جراهام فوللر) المسئول السابق بوكالة المخابرات الأمريكية في كتابه: " الشعور بالحصار " قائلا: إننا لا نؤمن بأن العلاقات بين الإسلام والغرب بصفة عامة، ستكون مسرحا للصراع

الأيدلوجي القادم في العالم، رغم التنافس التاريخي بينهما كأكبر عقيدتين في العالم، فالإسلام كدين اليوم ليس في وضع تصادمي مع المسيحية أو مع الغرب، بأي شكل من الأشكال [١].

والإسلام دين التوسط والاعتدال لا دين التشدد والتطرف، قال تعالى:﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء :١٧١]، ويصف المسلمين بقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، ويأمر رسول الله ﷺ والمسلمين قائلا:﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود] .

وهكذا يتضح أن التشدد أو التطرف لا يرجع إلى الدين – بل يرجع إلى التطور الخاطئ أو المنقوص عند بعض الناس [٢].

التعايش:

بالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش، التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح، نجد في المعجم الوسيط، تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعايشه: عاش معه. والعيش معناه : الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل [٣].

وإذا دققنا في مدلولات التعايش(COEXISTENCE) الذي شاع في هذا العصر، والذي ابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي، نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني بمفاهيم تتضارب فيما بينها، ولكن يمكن تصنيفها إلى ثلاث مستويات [٤].

المستوى الأول: سياسي، أيدولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية، وقد عرف التعايش أول ما عرف على هذا المستوى الأول.

---

(١) يوسف الكتاني: الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان : " الإسلام والغرب: الماضي – الحاضر – المستقبل "، القاهرة، ١٣ – ١٦ يوليو ١٩٩٧، ص ٦٨٩.

(٢) أحمد نصيب لوبيجا: الإسلام والتعايش بين الأديان، ص ٢٠١، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان: " الإسلام والقرن الحادي والعشرون "، القاهرة، ٢ – ٥ يوليو ١٩٩٨.

(٣) المعجم الوسيط، ج٢، ص٦٣٩ – ٦٤٠، طبعة داو الفكر.

(٤) عبد العزيز بن عثمان التويجري: الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، ص١٥٥ – ١٥٦، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل – تحديدا – معنى التعايش الديني أو التعايش الحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير وعلى هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم المحدد الذي نستخلصه منه، نتعامل مع مصطلح التعايش، وننظر في أبعاده ومراميه.

ولقد وضح لنا من تأملنا في هذه الدلالات جميعا أن التعايش الديني، أو بعبارة أدق: التعايش بين الأديان يستند إلى أربعة أسس هي:

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة.

الأساس الثاني: التفاهم حول الأهداف والغايات.

الأساس الثالث: التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، ووفقا لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش المصممان عليه.

الأساس الرابع: صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام والثقة المتبادلة.

العولمة:

العولمة مصطلح من المصطلحات التي شاعت بيننا في هذه السنين الأخيرة، مثل الحداثة، وما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار، وما بعد الإمبريالية، وغيرها، وهو تعبير جديد على لغتنا، فهو مترجم قطعا، كما سنرى.

والمعروف أن (العولمة) مصدر على وزن (فوعلة) مشتق من كلمة (العالم)، كما يقال: (قولبة) اشتقاقا من كلمة (قالب).

فالتعبير صحيح من الناحية اللغوية، ولكن يبقى علينا أن نعرف معناه، والمقصود منه، حتى يمكننا الحكم عليه، فالحكم على الشيء فرع من تصوره، كما قال قديما علماء المنطق.

والعولمة: تعني في نظر البعض: إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب بعضها البعض، وبين الأوطان بعضها وبعض، وبين الثقافات بعضها وبعض.

وبذلك يقترب الجميع من (ثقافة كونية) و (سوق كونية) و (أسرة كونية).

ويعرفها بعضهم بأنها تحويل العالم إلى (قرية كونية)، فالبعض استعمل كلمة (الكوننة) اشتقاقا من كلمة (الكون) بمعنى العالم أيضا. كما أن بعضهم استعمل كلمة (الكوكبة) إشارة إلى كوكب (الأرض) التي نعيش عليها، ولكن الكلمة التي ذاعت وانتشرت هي (العولمة) [١].

العولمة ترجمة لكلمة (GLOBALIZATION) الإنجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي: نقله من المحدود المراقب، إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك: تنقل البضائع والسلع، إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة، أما اللامحدود فالمقصود به (العالم) أي الكرة الأرضية. فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها [٢].

ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الدعوة إلى العولمة قد ظهرت فعلا في الولايات المتحدة الأمريكية بهذا المعنى، وفي أوساط المال والاقتصاد فإن لنا أن نستنتج أن الأمر يتعلق ليس فقط بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث بل أيضا بالدعوة إلى تبني نموذج معين، وبالتالي فالعولمة إلى جانب كونها نظاما اقتصاديا، هي أيضا أيدولوجيا تعكس هذا النظام وتخدمه وتكرسه.

التسامح:

المسامحة هي المساهلة ، من التسهيل، وسمح بمعنى: أعطى، ويقال: في الحق مسمح: أي متسع، ولا مجال للباطل.

ويعتبر التسامح من القيم الرفيعة، والعناصر الإنسانية الإيجابية التي تقوي الروابط بين الناس، وتشيع فيهم الألفة والمودة والمحبة، ومن أبسط صور المسامحة: أن يسقط الشخص حقه تجاه غيره، أو أن يطلب المعتدي المسامحة من المعتدى عليه، فيستجيب الأخير لطلبه، فالمسامح بعمله هذا قد بدل الكراهة إلى المحبة، والعداوة إلى الألفة. ويتعزز التسامح من خلال المعرفة والانفتاح، والتواصل، والحرية، والعقيدة، والتسامح قضية تجعل السلام ممكنا، يسهم

---

(١) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، ص٩ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
(٢) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، مرجع سابق، ص١١.

في إحلال ثقافة السلم – السلام – بدلا من ثقافة الحرب [(١)].

ويدعونا ديننا الإسلامي إلى القيم الرفيعة جميعها، والتي منها العفو والمسامحة، يقول تعالى في ذلك: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن] ، وقوله تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر] . وليس التسامح تساهلا أو تنازلا أو تعاطفا ، أو يتوهم البعض أنه يأتي عن ضعف واستكانة، وهذا توهم خاطئ، فالتسامح ينبع من القوة والمقدرة، وكما هو معلوم أن العفو يكون عند المقدرة، ويقول تعالى:﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى]. فالذي يصبر ويعفو ويصفح يكون قوي العزيمة كاظم الغيظ ، ويقول تعالى في صفات المتقين : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وبهذا العفو والصفح والمغفرة تزداد الألفة بين الأفراد، والجماعات، والشعوب، ويعم الاستقرار في المجتمعات بعضها البعض ، وتهدأ الفتن، وتطفأ الأحقاد ، وينزع فتيل الانتقام.

وهناك فجوة بين التسامح كقيمة أو مبدأ، وممارسة التسامح كسلوك، وهذه الفجوة التي كانت ـ ولا زالت ـ أساسا للعديد من الانتقادات التي وجهت لمفهوم التسامح في الغرب، كما يرتبط التسامح بالشأن العام وليس الشأن الخاص، فما يحدث في كثير من بلدان العالم التي يشترك فيها المسلمون مع غيرهم، فهذه فلسطين المغتصبة تتعرض لأفظع عمليات انتهاك الحرمات والمقدسات ، وقتل الأبرياء من العجزة والأطفال والنساء ،ولمدة تجاوزت الأربعة عقود، ثم يصر دهاقنة السياسة الدولية على تسمية الأزمة بقضية الشرق الأوسط، وهذه قضية كشمير لا زالت الاشتباكات تحدث بين المسلمين وغيرهم من وقت لآخر.

ومن الأهمية ضرورة التفرقة بين التسامح واللامبالاة في وضع حدود دقيقة للمفهوم، فمن أهم شروطه وجود اختلاف واستعداد للتحمل، وما يعتري قيمة التسامح من خلط

---

(١) إبراهيم صالح الحسيني: اعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة عنصر أساسي في عقيدة المسلم، ص٦٠١، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر، للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية و"حقيقة الإسلام في عالم متغير"، القاهرة، ٢٠٠٢.

بين الاندفاع نحو التدخل في شؤون الآخرين والامتناع عن ذلك، والتسامح ليس في العنف أو القسوة، ومن واجبنا كذلك أن ننكر التسامح على أولئك الذين يتآمرون لتحطيمه، ومسئوليتنا في هذا السياق خطيرة للغاية، والتسامح مع الانشقاق السياسي أو المعارضة السياسية، لا يجب أن ينظر إليه بوصفه تابعا وحسب من احترام الحق في الحرية، فإن هذا الحق ينشأ من تبرير التسامح السياسي، ويأتي بأي شكل من أشكال السلوك غير المضر (١).

وهناك ظروف عديدة يكون فيها من الحكمة للدول أن تكون متسامحة تجاه مواطنيها، وفي بعض الظروف لا يكون التسامح مجرد مسألة حكمة، بل مسألة واجب ويفسر هذا الواجب أنه ينبع من حق أصيل يمتلكه المواطنون، فالتسامح معهم غالبا ما ينظر إليه على أنه الحق في الحرية (٢).

عالمان: " نحن " و " هم " :

في الوقت الذي تظهر فيه بعالم واحد في نهاية الصراعات الرئيسية، إلا أن الميل للتفكير بعالمين كان يتردد دائما عبر التاريخ الإنساني، فالناس لديهم ما يغريهم بتقسيم بعضهم إلى " نحن " و " هم " ، الجماعة التفضيلية والجماعة الأخرى، حضارتنا وأولئك البرابرة. الباحثون يحللون العالم على أساس: الشرق والغرب، الشمال والجنوب، المسلمون يقسمون العالم على نحو تقليدي إلى " دار الإسلام " و " دار الحرب ". هذا التمييز انعكس بمعنى ما في نهاية الحرب الباردة بواسطة الباحثين الأمريكيين الذين قسموا العالم إلى " مناطق سلام " ومناطق " اضطراب " الأولى تضم الغرب واليابان وهي حوالي ١٥٪ من تعداد العالم، والأخرى هي ما عدا ذلك (٣).

والركيزة العملية للعلاقات بين مكونات الأمة الإسلامية، والعلاقة مع الآخر – البعد الثقافي الحضاري العقيدي – هي الرابطة الباقية للأمة والمميزة لها عن الآخر، بدون اندماج واستيعاب كاملين فيه، بل إنه تكمن في هذا البعد إمكانات التجديد الحقيقية، فإن التجديد لا يكون ماديا فقط بل لابد أن تصبح منطلقة ومحكمة هو البعد الثقافي الحضاري، فهذا هو الركيزة العملية تجديد ذاتية منفتحة، لا تقوم ذاتيتها على الانغلاق ولكن تتبلور في ظل أسس التعارف الحضاري مع الآخر. وعلى هذا النحو فإن (الثقافي) هنا الذي نهتم به ليس التفاصيل

---

(١) محمد وجيه الصاوي: مرجع سابق، ص ٢٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٩.
(٣) أحمد عامر: مقومات النظام السياسي الإسلامي وصياغة علاقته مع الآخر، ص ٦٥، سلسلة فكر المواجهة (٢)، الإسلام.. وحوار الحضارات، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢.

الفنية عنه ولكن باعتباره مخرجا أو مدخلها في عملية سياسية كبرى متعددة الأبعاد أولها: غاية الآخر في استبعاد وإقصاء وإذابة هذه الأمة ودثر نموذجها الحضاري، وإذا كان قد فشل في قرون القوة، فإن قرون الضعف قد شهدت درجات من نجاح هذه الغاية. ثانيها: قدرة الأمة ودأبها على الاستجابة أكبر وأكثر فعالية في قرون القوة والوحدة التي لم تخل أيضا من التهديدات الخطيرة [١].

ومن هذا المنظور فإن معنى (دار الإسلام) يدل على منطقة الإسلام – المنطقة التي تتولى إدارة إسلامية تنظيم شؤون الجماعة فيها – ويمثل تقليص للأمة حيث يفرض أول تقسيم للأمة التي لا يجوز تقسيمها شرعا، وينطوي معنى (دار الإسلام) على تصور للعلاقات الدولية توجد فيه دار الحرب في المقابل، وهي الدار الكائنة في المجال الواقع خارج الإسلام وفقا لثنائية اكتسبت معناها كاملا حين توحدت دار الإسلام مع المجال الإمبراطوري العباسي، وعلى هذا المستوى لا يمكن لأي تقسيم داخلي إلا أن يكون عارضا، وظرفيا، ومستندا إلى حجة الضرورة وحدها، وهكذا يكون هذا المعنى هو النقيض لمبدأ الأراضي الإقليمية الغربي الذي يضفي على الحدود قيمة مؤسسية ويصفها بأنها لا تُمس [٢].

وإذا بحثنا إنشاء الإمبراطوريات الإسلامية وتوسعها، يمكننا في الواقع ملاحظة أنه منذ القرون الأولى للهجرة جرت ممارسات عديدة تنم عن تكون قانون دولي، لقد عقد النبي محمد ﷺ معاهدات مع يهود المدينة ومع المسيحيين في العقبة، كما أن الخليفة عبد الله (الخليفة الأموي ٦٤٦ – ٧٠٥م) تفاوض مع بيزنطة، وتم افتتاح سفارات منذ وقت مبكر في " روما الشرق "، وفي بلاد فارس، ولدى الملك شارل الأول (ملك الإفرنج ٧٤٢ – ٨١٤م).

ولا ريب بأننا لا نجد خلف هذه البنى قانونا دوليا مكتملا. إن فكرة المعاهدة ذاتها تبرز العديد من الالتباسات حين نعرف مثلا بأن الفقهاء المسلمين يعتبرون المعاهدات من الالتباسات، حين نعرف مثلا بأن الفقهاء المسلمين يعتبرون المعاهدات حالات تقتضيها الضرورة ولا تنشئ سوى التزام مؤقت لا يدوم في أي حال أكثر من عشر سنوات. إن حجة الضرورة كبحث فرضية العقوبة ذاتها سلبت النظام الدولي من أي أساس ذي قيمة.

في الواقع إننا شهدنا قيام ممارسات دولية خالية حتى من المبادئ أو القواعد، وفيها

---

(١) المرجع السابق: ص٦٦.
(٢) المرجع السابق: ص٦٨.

يتعلق باندراجهم في نظام دولي كان الفاعلون يستندون إلى سيادتهم الكاملة، متصورين بأنه نظام تجاوز بين كيانات يلزم في داخله الاتصال مع الآخر [١].

وهناك ملامح تعكس تخوفات حول مصير المنطقة وتحذيرات عما يضمره تخطيط السياسة الأمريكية لأوضاع المنطقة بعد حرب الخليج؛ لأن هيكل النظام العربي لم يعد صالحا لخدمة الاستقرار في المنطقة وتحقيق مصالح الولايات المتحدة وحلفائها .. وفي هذا الإطار تأتي نظرة الغرب إلى حضارة الإسلام على أنها المنافس الأول بعد سقوط الشيوعية؛ ولذا فإن الغرب يقول من خلال النظام العالمي الجديد: إن عالم الإسلام ليس أمامه إلا التبعية لنموذجه الحضاري، وإما المواجهة بكل أسلحة القوة التي يمتلكها.

فالعلاقة مع النفس علاقة مشوهة [٢]، فهي قبل كل شيء لحظة المواجهة مع النفس قبل المواجهة مع الغرب، رغم شراسة الهجمة المعادية، وذلك تصحيحًا لهذه العلاقة المشوهة التي طالت وتطاولت، هي إذن قبل كل شيء لحظة المواجهة مع النفس أولا، من أجل المصلحة مع النفس بكل أبعادها الجمعية والفردية، التاريخية والحضارية، المجتمعية والسياسية، والثقافية. فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

لكن قادرين على الاعتراف بأننا نعيش علاقة مشوهة مع أنفسنا قبل أن نعيشها مع الغرب، إننا نعيش الصراع الحضاري الذاتي مع الموروثات المتعارضة المتراكمة عبر عصور تاريخنا المزدهر والمنحدر على السواء، ضمن خليط من النقائض والأضداد في صميم تكويننا المجتمعي والحضاري، دون حسم ودون أن نجرؤ على ترك ما هو تاريخ للتاريخ، وإبقاء ما هو حاضر ومستقبل للحاضر والمستقبل، إننا نعيش اليوم خليطا نشازا من عصور المماليك والعصور الحديثة وشخصيتنا الجماعية المعاصرة متحف متحرك لكل المعروضات بلا تمييز أو هوية [٣].

لماذا وصل الآخرون إلى ما وصلوا إليه ولم نصل نحن ؟ من الهند، والصين، واليابان، وباكستان، والنمور الآسيوية .. فالبيت المنقسم على نفسه لا يمكن أن يواجه الآخرين، فنحن نعظ الغرب ليكون إنسانا عادلا، ونناشد إسرائيل لتكون قوة مسالمة .. ولكن ماذا فعلنا لأنفسنا ؟ وماذا أعددنا لهم من قوة .. ليستمعوا إلينا بالفعل ؟ أعني القوة اللازمة

---

(١) المرجع السابق: ص٦٨ - ٦٩.
(٢) محمد جابر الأنصاري: أنا والآخر ذلك النفس، ص ٣٣، مجلة العربي، العدد (٥١٨)، الكويت، يناير، ٢٠٠٢م.
(٣) محمد وجيه الصاوي: مرجع سابق، ص١١.

لهذا العصر بأبعادها الشاملة، وكيف نتجاوز هذا اليأس إلى الفعل ؟ الفعل الحضاري والتاريخي في هذا العصر، بمنطق العصر، وبكل أدوات العصر ذات الفعالية الدائمة التي تمكننا من الانتصار .. وتجعلنا شركاء حضارة في واقع العالم، لا مجرد ضحايا إثارة على شاشاته [١]. صحيح إن ثمة ظلما واقعا من الغرب على العرب والمسلمين، ولكن أليس ضرب اليابان بأول قنبلة نووية في التاريخ وقتل المدنيين الأبرياء فيها جريمة لا تغتفر ؟ المحك والاختبار الحقيقي ليس كيف (تنفعل) ؟ ولكن كيف (تفعل)؟ وحان الوقت ليخرج العرب والمسلمون من مهاوي الانفعال إلى مستوى الفعل.

العلاقة بين الحضارات:

إذا كانت الحضارات صنعا بشريا ، فإن من الطبيعي القول : إن العلاقات بين الحضارات هي أيضاً من صنع البشر وأنه يصدق عليها، في أكثر الأحيان، ما يصدق على العلاقات البشرية عمومًا. ولذلك فإنه، وبعيدًا عن مقولات حتمية الصراع وأمنيات إلغاء الصراع أو انتهائه بين الحضارات، ظلت العلاقات بين الحضارات تتراوح بين السلم والحرب، والتعاون والصراع، والاسترخاء والتوتر، تمامًا كما هو شأن العلاقات بين أفراد البشر ، وكذا بين الكيانات البشرية الجماعية الأخرى كالأسرة والدولة.

وسواءً كانت العلاقات المباشرة بينها ودية أم عدائية، فإن الحضارات تبقى تتبادل المنافع، وترث اللاحقات فيها عن سابقاتها ما تبنى عليها بعض عطاءاتها وإنجازاتها. وصحيح أن قدر ونوع الانتفاع ومجالاته تتحكم فيه عوامل عدة، تأتي في مقدماتها طبيعة العلاقات واختلاف المرجعيات والبعدين الزماني والمكاني، بيد أنه يظل هناك دائمًا قدر غير قليل من الانفتاح تدين به كل حضارة لما سواها من الحضارات، وبقدر نمو هذا الانتفاع المشترك بقدر ما ينمو التراكم الحضاري الذي يشكل إرثًا إنسانيا مشتركًا. وبناءً على طبيعة العلاقات والظروف السائدة تتحدد الوسائل والسبل التي تسلكها الحضارات للتفاعل مع بعضها. فالعلاقات الصراعية تتوسل بالوسائل والأساليب الصراعية كالقتال والحصار والهيمنة، بينما تتوسل العلاقات الودية كتبادل المعرفة التقنية وتوسيع حريات الانتقال وحل الخلافات بالطرق السلمية [٢].

---

(١) المرجع نفسه: ص١٢.

(٢) عبد الله منصور: دور المجموعة الحضارية الإسلامية في حوار الحضارات ص١٣٥-١٣٦، سلسلة فكر المواجهة (٢)، الإسلام.. وحوار الحضارات، دار البيان للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

صراع الحضارات:

يعد مصطلح " صراع الحضارات " أكثر انتشارًا وشيوعًا خلال العقد الأخير من القرن العشرين ومقابلة مصطلح " حوار الحضارات "، وهذا المصطلح لا يزال يفرض نفسه في سياق البحث في القضايا الدولية سواء كانت فكرية أم ثقافية أم سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية وتنموية.

ونحن حين نتحدث عن صراع الحضارات ـ أو حوار الحضارات ـ لابد أن تستوقفنا محطات تبدو مهمة جدًا؛ لأن ما يجري في العالم لا يجري في كوكب آخر، وقد باتت كافة الظواهر السياسية والفكرية والاجتماعية مترابطة يؤثر بعضها ببعضها الآخر، فما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١١/ ٩/ ٢٠٠١ ليس حدثًا منفصلا عما يطرح من أفكار وبحوث في صدام الحضارات أو حوارها.

وفي الواقع فقد برزت نظريات ورؤى كثيرة في هذا الإطار مثل: (نهاية التاريخ والإنسان الأخير)، و (صدام الحضارات) والنظريتان مشتقتان في واقع الأمر من أفكار العالم اليهودي (داروين) القائمة على أساس أن الصراع هو أصل الحياة، وأن البقاء للأقوى. أو الأصلح، وهما تحاولان تفسير المتغيرات في النظام العالمي في إطار توجيه سياسي يقدم رؤى انتقائية لتلك المتغيرات، في حين أن البحث يفترض أن هذه المتغيرات توفر مجالاً للتحاور بين الحضارات، ففي أثر حدوث تلك المتغيرات ظهرت ثلاثة تيارات لتفسيرها [(١)]:

التيار الأول: يعلن انتصار الحضارة الغربية بمحتواها الأمريكي حيث ينتهي التاريخ.

التيار الثاني: يجعل الصدام بين الحضارات هو الشكل الأعم في المستقبل.

التيار الثالث: يدعو إلى قيام حضارة إنسانية جديدة أساسها التحاور والتسامح، باعتبار ذلك هو الوسيلة الكفيلة لإنهاء جميع أشكال وأسباب الصراعات المسلحة.

ومن هنا نقول: إن أي قوة تدعي أنها تريد بناء حضارة إنسانية هي خدعة كاذبة خاطئة؛ لأنه ليس بالسيف تصنع الحضارات، وكيف يطلب من إنسان أن يأخذ دوره في بناء الحضارة وهو معرض للخوف والبطش والعبث، بل هو معرض للقتل إن هو أبدى ملاحظة ما حول

---

(١) صالح حسن المسلوت: صدام الحضارات هل هو حتمية تاريخية أم افتعال ثقافي غربي ؟ بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة وعنوانه: (إنسانية الحضارة الإسلامية)، ١٧-٢٠ أبريل ٢٠٠٥، ص٣٤٠.

أسلوب البناء الحضاري المعاصر [١].

معنى الصراع ومدلوله:

لا يستقيم فهمنا لمدلول الصراع إلا إذا عرفنا معنى اللفظ ومغزى المصطلح. جاء في لسان العرب " الصرع ": الطرح بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعه صرعًا، فهو مصروع وصريع، والجمع صرعى، والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه، والصرع علة معروفة، والصريع المجنون، ومصارع القوم حيث قتلوا، وفي الحديث الصرعة (بضم الصاد وفتح الراء مثل الهمزة): الرجل الحليم عند الغضب وهو المبالغ في الصراع الذي لا يغلب [٢].

ووردت في القرآن الكريم كلمة (صرعى) مرة واحدة يقول تعالى:﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ ﴾ [الحاقة] والمعنى هنا الطرح بالأرض، وهو يخص الإنسان.

واكتسب المصطلح مفهومًا سياسيًا واسع الانتشار ، واتخذ طابع النظرية في القرن التاسع عشر، حين ورد فيه (البيان الشيوعي) لماركس وإنجلز . جاء في (الموسوعة السياسية) أن الفكرة العصرية عن صراع الطبقات تعود إلى عهد الثورة الفرنسية، ولكن النظرية مستمدة من أفكار ماركس وإنجلز كما أورداها في البيان الشيوعي والذي جاء في: « إن تاريخ المجتمع كله حتى اليوم هو تاريخ صراع الطبقات » [٣]. ويلاحظ هنا ورود لفظ (كله) الذي يفيد الجمع وينفي الاستثناء على وجه الجزم والقطع ، وهي لازمة من اللوازم المرتبطة بالفكر الشمولي في كل زمان ومكان، سواء أكان شيوعيًا أم رأسماليًا. وهو التعبير نفسه الذي يرد عند المفكرين المروجين اليوم للصراع أو الصدام بين الحضارات والثقافات [٤].

وغلبت فكرة الصراع على الفكر الأوروبي في جميع المراحل التي مر بها ، وأدت الشعوب الأوروبية ثمنًا فادحًا لهذه الغلبة القسرية، حيث عانت أشد المعاناة من الحروب

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٣٦.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، م٣،ص٤٣٠ طبعة يوسف الخياط، دار الجبل، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٨٨م .

(٣) الموسوعة السياسية ص٣٤٤: إشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٧٤، ص٣٤٤.

(٤) عبد العزيز بن عثمان التويجري: علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى تفاعل لا صراع ص٣٤٧، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٤٧.

الأهلية فيما بينها، كان آخرها الحرب العالمية الثانية التي أضرمت شرارتها عقيدة عنصرية، ونزعة استبدادية، اصطبغتا بصبغة الصراع القانية. وعلى المستوى الفكري والمذهبي والسياسي، كانت الأفكار الكبرى التي أحدثت عميق التأثير في المجتمعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وأخطارًا ذات منطلقات صراعية مثل الشيوعية التي قامت على مبدأ الصراع الطبقي الذي هو درجة عالية من سلم الصراع، وينطبق هذا حتى على الرأسمالية التي قامت هي الأخرى على مبدأ الصراع ضد العوائق والموانع والحواجز التي تمنع الرأسمال من الانطلاق من القيود. والتي تشن حربًا عوانًا على الأوضاع التي لا تتقبل المذهب الرأسمالي، حتى وإن أدى تطبيق هذا المذهب والعمل به إلى الإضرار بمصالح الشعوب الفقيرة. فمن أجل الوصول إلى الرفاهية والوفرة والرخاء والازدهار الاقتصادي لا شيء يمنع من استغلال الشعوب الأخرى والهيمنة على مقدراتها. وهو الأمر الذي أدى ـ ولا يزال يؤدى ـ إلى زعزعة استقرار المجتمعات الحديثة بما فيها المجتمعات الرأسمالية ذاتها [1].

وفكرة الصراع هذه هي التي تهيمن على الحضارة الغربية ، وتؤثر في العلاقات الدولية، ويذهب ضحيتها شعوب وأمم في جميع أنحاء العالم.

وفكرة (الصراع للحياة) قد طرحت في القرن التاسع عشر في أوروبا والتي حلت نظرية داروين مكان النظريات السالفة عن التوافق الطبيعي، وساد في الأوساط العلمية والفكرية الاعتقاد في وجود كثير من الصراع حتى في الطبيعة، وأن هذا الصراع هو من سمات الطبيعة، والفكرة والأساس الذي تمركز حولها الفكر الأوروبي هي أنه لا وجود لتشابه كامل بين الطبيعة والمجتمع، فهناك الكثير من الصراع في المجتمع، ولكن الصراع بين الناس ليس من أجل الوجود، ولكنه من أجل تحقيق فرص أفضل للاستمتاع والارتقاء [2].

صراع الحضارات .. هل هو حتمي ؟

نؤمن – نحن العرب والمسلمين – إيمانا قطعيا بأهمية الحوار مع أبناء الإنسانية كلهم، على أساس أن الإسلام الحنيف لا يعادي أي شعب، ولا يدعوا إلى الانغلاق، كما أننا نؤمن بالحوار من منطلق تعليمات من عقيدتنا الإسلامية أولا، وحضارتنا ثانيا، ولم نكن يوما منغلقين، بل إننا قد نبالغ في الدفاع عن الحوار استنادا إلى منظور قرآني إنساني، يقول

---

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجري: العالم الإسلامي في عصر العولمةص ١٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م.

(٢) فرانكلين – ل – باومر: الفكر الأوروبي الحديث: الاتصال والتغير في الأفكار من ١٦٠٠ إلى ١٩٥٠، ج٣، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، سلسلة الألف (كتاب).

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات]. من هذا المنطلق، ومن استقرائنا للتاريخ، فإن القرن الحادي والعشرين لن يشهد صداما بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ويستند هذا القول على ركيزتين أساسيتين هما:

أولا: يتميز القرن الحادي والعشرون بأنه عصر ثورة المعلومات والاتصالات، وهذا الإدراك هو الذي دعا الأمم المتحدة إلى اعتبار عام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات.

ثانيا: إذا كانت الأصوات التي تروج لفكرة صراع الحضارات قد وجدت أصداء في الشرق والغرب على السواء، فإن هناك أصواتا مضادة ترفض بشدة تلك النظرية. هكذا يقول لنا المنطق السليم السوي.

أما إذا نظر الغرب بنظريته الفوقية للعالم الإسلامي واستعلائه عليه، ولم يتنازل عن عنصريته وعنجهيته في الهيمنة والبغي والظلم، ورغبته في سلخ الأمة من خصوصياتها الثقافية والحضارية، فإن الصراع (الصدام) في هذه الحالة آت لا محالة، ولكن سيكون الغرب هو الذي صنع أسبابه ومسبباته، ودبر خطوط مواجهته، ويكون الصراع آنذاك تدبيرا بشريا من صنع " هينتنجتون " و " فوكوياما " وأمثالها، وليس حتميًا.